مجلة المختار للعلوم الإنسانية 38 (1): 110-137، 2020

Research Article

Open Access

الدلالات النفسية في رسومات الأطفال المصابين باضطراب ما بعد الصدمة (تحليل كيفي لرسومات عينة من أطفال درنة)

زاهية سالم رحيل[1]* نصر عياد المنصوري[2]*

قسم رياض الاطفال، كلية التربية، جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/8mzp1128

المســـتخلص : الغرض الأساس من قيام الدراسة الحالية هو التعرف على الدلالات النفسية في رسومات الأطفال المصابين باضطراب ما بعد الصدمة، وكذلك التعرف عما إذا كانت هذه الدلالات النفسية التي تفرزها رسوم الأطفال تتسق مع أعراض وسمات اضطراب ما بعد الصدمة، وذلك بإتباع منهج التحليل الكيفي بأسلوب دراسة الحالة. جمعت البيانات باستخدام اختبار رسم الشخص لـ"ماكوفر" كونه وسيلة تعبير إسقاطيه من عينة قوامها 5 أطفال من مدينة درنة الليبية، ممن يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة. أسفرت نتائج التحليل الكيفي والتفسيرات الإسقاطية لرسومات الأطفال عن عدة دلالات نفسية ترتبط باضطراب ما بعد الصدمة لدى الأطفال من عينة البحث تمثلت في الانعزال والانطواء، والقلق، والعدوان، والإنكار، وعدم الشعور بالأمن، والشعور بالنقص والدونية. كما أسفرت نتائج البحث عن اتساق أغلب الدلالات النفسية التي فُسرت من الرسومات مع أعراض وسمات اضطراب ما بعد الصدمة مثل الانعزال، والعدوان، والقلق، والإنكار، بينما لم تتسق الدلالات النفسية المتمثلة في الشعور بعدم الأمن والشعور بالنقص والدونية مع الأعراض المتعارف عليها. خلص الباحثان لبعض التوصيات والمقترحات في ضوء هذه النتائج.

الكلمات المفتاحية: رسومات، دلالات نفسية، ما بعد الصدمة

Psychological connotations in the drawings of children with post-traumatic stress disorder (Qualitative analysis of sample drawings from Derna children)

Zahia Salem Raheel, Nasr Ayad Al Mansouri

Department of Kindergarten, College of Education, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: The primary purpose of the current study is to identify the psychological implications in the drawings of children with PTSD, as well as to determine whether these psychological signs produced by children's drawings are consistent with the symptoms of PTSD, by following the method of case study as a qualitative analysis method. Data were collected by using the "Macover" Personality Drawing Test as a projective expression method from a sample of 5 children suffering from PTSD as sequences of war in the Libyan city of Derna. The results of the qualitative analysis and projective interpretations of children's drawings resulted in several psychological signs related to PTSD in children from the research sample, which were isolation, convergence, anxiety, aggression, denial, lack of security, feelings of inferiority. The results of the research also showed the consistency of most of the psychological signs that were interpreted from the drawings with symptoms of PTSD such as isolation, aggression, anxiety, and denial. While the psychological implications of feeling insecure and feelings inferior were not consistent with the common symptoms. The researchers concluded some recommendations and proposals in light of these results.

Keywords: drawings, psychological connotations, post-traumatic

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

التعبير عن النفس ومكنوناتها وحالاتها في السواء والمرض يأخذ أنماطاً متعددة وأوجهاً متنوعة تظهر في سلوكيات واضحة، وتعبيرات لفظية، وإيماءات لها مدلولاتها. فهم الآخر– سواء لمحاولة مساعدته على تجاوز محنته، أو لدراسة شخصيته– عملية ليست بالسهلة كونها تتضمن تفسيرات للأقوال، والأفعال، والحركات، والايماءات، واستنتاج طبيعة وعمق أبعادها المستترة. وإذا ما تم فهم الآخر بنجاح بالنسبة لدراسة الأفراد البالغين القادرين على وصف خبراتهم وآثارها النفسية عليهم باستخدام التعبير اللفظي الواضح، فإنه من الصعوبة بمكان الاستبصار في خبرات الأطفال صغار السن، نظراً للقصور اللفظي والذهني للتعبير عما تعرضوا له من خبرات وأحداث، ومدى وقعها على شخصياتهم وأنفسهم.

ظهرت العديد من الاختبارات النفسية التي تهدف للتعرف إلى سمات وأبعاد الشخصية المضطربة، منها: اختبارات موضوعية "لفظية، "ومنها اختبارات" إسقاطيه" ولعل وضوح مضمون المقاييس اللفظية هو من أهم السلبيات التي تؤخذ على المقاييس اللفظية، فهي تتيح للمفحوص المضطرب نفسياً أن يهرب من الفحص من خلال تلك النوعية الموحدة من الإجابات المسايرة لتقاليد المجتمع، أو التي تميز الشخصية السوية دون أن تكون هذه الإجابات معبرة بالفعل عن نوعية شخصية هذا المفحوص، كل ذلك إلى جانب صعوبة التواصل مع الأطفال من خلال لغة الكلام، وخاصة إذا كان هذا الطفل قد تعرض لاضطراب (فرينه، 2011).

ومن ثم قد كانت هناك حاجة لنوعية أخرى من المقاييس غير اللفظية، أو لغة بديلة يمكن من خلالها أن نقيم حواراً مع المفحوصين، وخاصة الأطفال منهم بلغة يعبر من خلالها الطفل عن حاجاته، ومشاعره، ومفهومه عن ذاته، وإدراكه للآخرين، وعلاقاته مع بيئته، ومن هنا ظهرت الاختبارات الإسقاطية وسائل لا تعتمد على لغة الكلام بشكل أساسي في التواصل مع الفرد.

وتعد الرسوم شكلاً من أشكال هذا التواصل مع الأفراد، فهي بمثابة رسائل موجهة للآخرين، ووعاء للفكر والمشاعر، شأنها في ذلك شأن الكلمات، خصوصاً لدى الأطفال الذين غالباً ما تعجز لغتهم عن تحقيق أغراضها التعبيرية، إما لعدم كفايتها، أو لانتفاء وجودها أصلاً لدى بعض

الأطفال غير العاديين. لهذا أخذت البحوث والدراسات في مجال رسوم الأطفال تتوالى مع بداية القرن العشرين لتكشف لنا عن الأهمية التربوية والنفسية لرسوم الأطفال، فهي تعبير صادق عن رغبات الطفل وحاجاته، ووسيلة لتسجيل حاضره، وتطلعاته المستقبلية، وتجسيد لمخاوفه، وصراعاته، ومفهومه عن ذاته (القريطي، 1995).

ومن هذا المنطلق فإن رسوم الأطفال في بيئة الحرب هي وسيلة إسقاطية يتبناها الباحثان في الدراسة الحالية لدراسة خصائص شخصية الطفل، واضطراباته، وانعكاس المتغيرات، والظروف، والأحداث الصادمة عليه التي فرضتها ظروف المجتمع المحلي، وما يمر به من صراعات، وحروب، واضطرابات استثنائية قاهرة، وأحداث دامية، وخبرات صادمة لكل فئات المجتمع بما فيهم الأطفال. خصوصاً أن بيئة الدراسة الحالية المتمثلة في مدينة درنة الليبية مرت بفترة طويلة على مدى سنوات بالعديد من الاضطرابات والحروب، وتعرض الأهالي فيها لخبرات صادمة من مشاهد الدمار، والموت، والتنكيل. عند هذه النقطة، الكثير من أطفال المدينة عاشوا خبرات مفزعة، وصادمة بفقد أحد الوالدين أو كليهما، أو أحد أفراد الأسرة، أو أحد الأقرباء، والتعرض لمشاهد متنوعة من العنف، والقتل، والدمار، وسماع أصوات القصف، والانفجارات المفزعة، فضلاً عن السماع عن أحداث العنف وأخبار الموت التي كانت تحدث بشكل شبه يومي في محيطهم سواء عن طريق وسائل الإعلام، أو عن طريق المحادثات والحوارات اليومية التي يتناقلها أفراد الأسرة والأقران.

كل هذه المعطيات والظروف ترتبط بشكل واضح باضطراب ما بعد الصدمة لدى الأفراد، كونها أحداث مسببة لحدوث الاضطراب، وتتسق مع الأحداث المرتبطة به وفق تعريف الجمعية الأمريكية للطب النفسي اضطراب ما بعد الصدمة على أنه "الأعراض التي تتبع التعرض لضغط صدمي شديد يشمل الخبرة المباشرة للشخص الذي يتعرض للحدث الذي يتضمن تهديداً حقيقياً أو متخيلاً أو جرحاً خطيراً، أو أي تهديد آخر لجسد الشخص، أو مشاهدة الحدث الذي يشمل الموت، أو العلم عن موت عنيف غير متوقع، أو إيذاء خطير، أو تهديد بالموت، أو إلحاق الجرح، أو الإيذاء لفرد من أفراد الأسرة، أو أي قريب عزيز"(DSM IV, 1994: 463).

من هنا لاحظ الباحثان، من زاوية التخصص والقرب من بيئة الدراسة، صعوبة في التعبير اللفظي عن الذات والمشاعر لدى الأطفال الذين عانوا من اضطراب ما بعد الصدمة، وعجز في التواصل اللغوي لإيضاح الظروف النفسية، لهذا تبنى الباحثان وسيلة غير التخاطب للتواصل مع مثل هذه الحالات، وهي استخدام الرسم لغة بديلة يفصح من خلالها الطفل عن مكنوناته، ويسقط في رسوماته المشاعر، والاتجاهات نحو الذات والآخرين، ومدى تأثير الخبرة الصادمة وأبعادها في صورة بلاغية يرسمها بنفسه. لذلك ركزت الدراسة على استخدام اختبار غير لفظي (اختبار رسم الشخص) كونه وسيلة جمع بيانات إسقاطية عن الطفل، واستنتاج الدلالات النفسية للرسم، والتي تعكس حالة الطفل النفسية والاجتماعية وفق منهج علمي مقنن.

تحديد المشكلة

بُنيت الدراسة الحالية بأهدافها وإجراءاتها والوسائل المستخدمة فيها على افتراض أساسي متمثل في صعوبة التعرف على المظاهر النفسية، والأبعاد المتصلة باضطراب ما بعد الصدمة لدى أطفال الحرب، والشعور بعدم جدوى الاختبارات المباشرة التقريرية، والموضوعية، ومقاييس التقدير الذاتي، والمقابلات المباشرة مع الوالدين في دراسة هذه الخصائص النفسية لأطفال الحرب، ومن هنا جاءت وسيلة الرسم الإسقاطية لحل هذه الإشكالية ومحاولة للتعرف على المظاهر النفسية، والدلالات من خلال رسومات الأطفال الذين يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة ممن عاشوا في بيئة حرب، وأحداث صادمة لمدة من الزمن. ويمكن تمثيل مشكلة البحث من خلال الإجابة على السؤال الآتي:

- ما الدلالات النفسية لرسوم الأطفال المصابين باضطراب ما بعد الصدمة؟

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث الحالي في عدة محاور منها ما يأخذ الطابع المعرفي على مستوى التنظير والبحث العلمي، ومنها ما يأخذ طابع القيمة العملية التطبيقية على مستوى ممارسة الأخصائي والمعالج، ويمكن إيجاز هذه المحاور في عدة نقاط متسلسلة من قيمة البحث النظرية إلى قيمته التطبيقية:

- يعرض البحث الحالي نظريات وسرد للأطر النظرية المهمة في مجال رسومات الأطفال، ودلالاتها النفسية، والتربوية، والاجتماعية وفق النظريات المتنوعة المعروضة في البحث.
- يقدم البحث الحالي للمكتبة المحلية والعربية دراسة في منهج التحليل الكيفي، وهو من المناهج نادرة الاستخدام على المستوى المحلي والإقليمي.
- توضح مجريات الدراسة أهمية الأساليب الإسقاطية في دراسة شخصية الطفل والكشف عن مكنوناتها النفسية.
- تقدم الدراسة الحالية منهاج علمي بخطواته المتماسكة، ودلائله الواضحة في تحليل الشخصية، وتشخيص اضطرابات الطفولة، عن طريق الرسم مما يفيد المشتغلين في مجال الطفولة من أخصائيين، ومرشدين، ومعالجين.
- ترشد الدراسة الحالية الباحثين في مجال علم النفس لإتباع خطوات دقيقة في تحليل الاستجابات الإسقاطية المتعلقة برسوم الأطفال.
- البحث الحالي يقدم إجراءات عملية لتشخيص اضطرابات الأطفال عن طريق رسوماتهم.
- البحث الحالي يعطي تصوراً عن الخصائص النفسية المصاحبة لاضطراب ما بعد الصدمة عند أطفال الحرب، مما قد يساعد باحثين آخرين، ومعالجين في تضمين هذه الخصائص، والملامح كونها دلائل لوجود اضطراب مع بعد الصدمة.

تساؤلات الدراسة

يحاول الباحثان من خلال إتباع منهجية، وإجراءات البحث الحالي الإجابة على السؤالين الآتيين:

- ما الدلالات النفسية لرسوم عينة من أطفال الحرب ممن يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة؟
- هل هذه الدالات النفسية تتسق مع أعرض اضطراب ما بعد الصدمة؟

الإطار النظري والدراسات السابقة

تعد الكوارث الصادمة والآثار التي تتركها الحروب من أقسى الصدمات في النفس الإنسانية، وعادةً ما تكون البيئة التي تتصف بالحروب والدمار بيئة مساعدة للإصابة بالاضطرابات النفسية التي تطال الجميع: نساء، وأطفال، وشيوخ، وبذلك يمكن القول: إن المجتمع مهدد بأسره من تلك الآثار، ولابد هنا من وقفة لرصد اضطرابات الضحايا خصوصاً لدى الأطفال (النووي، 2016) ،زمن هذه الاضطرابات التي يكون الأطفال عرضة لها أثناء الحروب ما يعرف باضطراب ما بعد الصدمة.

سمات اضطراب ما بعد الصدمة عند الأطفال

حسب ما نشرته الجمعية الأمريكية للطب النفسي عام(DSM III, 1987) فإن أهم سمات هذا الاضطراب عند الأطفال هي:

– أن يتعرض الطفل لتجربة تكون خارجة عن المدى الطبيعي لتجارب الطفل.

– إعادة التذكر المتكرر والدائم للصدمة التي مر بها، وبطرق شتى، منها: الإقحام المفاجئ لصور معينه من الحدث لخيال الطفل، أو الأصوات المتعلقة بالحدث، والكوابيس، والأحلام الليلية.

– انحسار الاهتمام بالأشياء، والبيئة المحيطة من خلال انحسار الاهتمام بالأنشطة التي قد تجلب المتعة له، والابتعاد العاطفي عن الأصدقاء، والالتصاق بالوالدين، وضعف قدرته على التحمل.

– تطوير أعراض جديدة متعلقة بالحدث الصادم على المستوى الحركي، منها الازدياد المفاجئ. فيالانتباه والتيقظ، و تشمل العصبية الزائدة والاستثارة الزائدة والشديدة، وسلوكيات التجنب، والقلق الشديد من كل المنبهات التي تذكر بالحدث الصادم واضطرابات النوم، واستخدام الحيل الدفاعية (DSM III, 1987: 261).

كما قام "دريقروف" بإضافة بعض الأعراض الخاصة باستجابة الأطفال للأحداث الصادمة ومنها : زيادة سلوك التعلق بالوالدين، وظهور أعراض قلق الانفصال، وفقدان للمهارات المكتسبة حديثاً من خلال عملية التطور، وخصوصاً عند الأطفال الأصغر سناً، والخوف الدائم من تكرار الحدث الصادم، وأخيراً الشعور بالذنب من الحدث الذي تعرضوا له وهذا يظهر بشكل واضح عند الأطفال الأكبر سناً(Dyregrov, 2003: 96).

بالإضافة إلى ذلك يمكن أن تظهر الأعراض الآتية عند الأطفال:

–التبول، والتبرز اللاإرادي في الليل والنهار.

- مص الأصابع.
- الخوف من الظلام .
- فقدان الشهية.
- الصداع المستمر.
- الشكوى من مشاكل في النظر والسمع.
- العناد للوالدين وللمدرسين.
- اللوازم الحركية المتكررة.
-اضطرابات في الكلام مثل التأتأة.

كل هذه الأعراض وما يرتبط بها من سلوكيات وانفعالات يمكن أن يكون لها دلالات ورموز تبرز في رسومات الأطفال، كما أن لهذه الرسومات نظريات وأطراً فلسفية تسعى لتفسيرها.

النظريات المفسرة لرسوم الأطفال

توجد عدة نظريات لتفسير رسومات الأطفال، منها النظرية الواقعية الساذجة التي ترتكز على فكرة واقعية الرسم، وهي إنتاج رسوم فوتوغرافية ممثلة للواقع من الناحية البصرية دون تحريف، أي أن رسم الشيء مطابق له كما عليه في الواقع (القريطي،2001). أما **النظرية العقلية**، يرى أصحابها أن رسومات الطفل تستمد من مصدر غير بصري، أي من مفاهيم غير مدركة حسياً، فرسومات الطفل تعد بمثابة رموز تعبر عما انطبع في ذهنه من معانٍ للأشياء، وتنطلق النظرية من مبدأ أن الطفل يرسم ما يعرفه لا ما يراه (المليجي،2003).

فيما يرى أصحاب **النظرية الإدراكية** أن الطفل يرسم ما يراه لكنه يفعل ذالك معتمدا على المفاهيم البصرية ، ويرى أن الإدراك الحسي لا يبدأ من الخصوصيات والتفاصيل، بل يبدأ من العموميات، فالطفل يرسم ما يراه متأثرا بعملية الإدراك أكثر من تأثره بالتفكير. فالرسم من وجهة نظر" أرنهايم" ضرورة كما أنه حل نهائي لمشكلة كيف تنظم وحدات طبيعية لها صفات معينة (حسين، 1974).

من الملاحظ أن النظريات سالفة الذكر لم تتطرق للعوامل الذاتية والانفعالية، ومدى تأثيرها في تشكيل رسوم الأطفال، ولهذا تعتبر النظرية التحليلية في تفسير رسوم الأطفال هي الإطار النظري والتفسيري الذي يتبناه الباحثان في البحث الحالي.

تتناول **النظرية التحليلية** رسوم الأطفال من منظور التحليل النفسي على أساس أن هذه الرسوم ليست محض نشاط عقلي يعكس عوامل معرفية معقدة، وإنما هي محكومة بعوامل أخرى وجدانية مرتبطة بمزاج الطفل وشخصيته، وصراعاته، ومشاعره، ورغباته الدفينة، وتجاربه الشخصية، وغرائزه، واحتياجاته المحبطة، إذ تعمل هذه المتغيرات منبهات لاشعورية بالنسبة للطفل، وعلى الرغم من أنها غير معلومة بالنسبة له، لكنها تؤثر على سلوكه وتطبع شخصيته، ومن ثم تنعكس على رسومه، فالمواد الغريزية، والمكبوتة، والرغبات، والاحتياجات المحبطة –أي: المحتويات اللاشعورية– التي تبحث لنفسها عن منفذ للتعبير، وعن مخرج للتنفيس، والإشباع تجد ضالتها في التعبير الفني، بل تمنح الأشكال المرسومة ذاتها طابعها المميز، من حيث نوعية الخطوط والهيئات والأحجام والأوضاع في الفراغ، والعلاقات التكوينية القائمة فيما بينها، وكمية تفاصيلها وألوانها، لذلك تعتبر رسومات الأطفال من وجهة نظر التحليليين بمثابة رسائل موجهة إلى الآخرين، تصور أعماق شخصيات أصحابها أصدق تصوير. كما تعتبر الأشكال المرسومة رموزا بصرية ذات دلالات سيكولوجية معينة لما لها من علاقة وثيقة بالجانب اللاشعوري الخفي من شخصية الفرد، وبما يعانيه من مشكلات وصعوبات، ومن ثم يولي أصحاب المنحى التحليلي في تناول الرسوم أهمية كبيرة لإتاحة الحرية المطلقة للعميل سواء أكان طفلا أم بالغا كي يعبر بتلقائية كاملة وصراحة عن انفعالاته ومشاعره وعالمه الداخلي، دون إعاقته بتوجيهات معينة، أو تقييده بمهارات أدائية محددة، مع ملاحظة سلوكه أثناء عملية الرسم ملاحظة دقيقة منظمة، وتسجيل ما تسفر عنه، ثم القيام بعد ذلك بدراسة رموزه الشكلية والربط فيما بينها، وتفسيرها في إطار المعلومات التي يتم جمعها عن حالة المفحوص (القريطي، 2001).

يعتمد الباحثان في جمع البيانات من عينة البحث الحالي على هذا التفسير الذي تتناوله النظرية التحليلية لرسوم الأطفال، وذلك بالتعامل مع الرسومات على أنها إسقاطات للمشاعر، والرغبات، والاضطرابات، والمكبوتات. كما أن هناك العديد من الدراسات السابقة التي تبنت المنهج نفسه في تفسير رسوم الأطفال.

الدراسات السابقة

من الدراسات التي تناولت رسوم أطفال الحرب دراسة الركف (2004) التي درست تأثير الحرب على عينة من رسوم الأطفال في العالم وانعكاساتها الانفعالية، وذلك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي على عينة مكونة من 15 طفلاً ما بين أعمار (9–11) سنة، وتم اختيار الرسوم من الدول فلسطين، وأفغانستان، والعراق. وعكست رسوم الأطفال الحروب من خلال انفعالاتهم من خلال استخدام الألوان القوية التحديد بالأسود، والتحريف، والتسطيح، واستخدام رموز تشير إلى الحرب مثل: الدبابات وغيرها، وأظهرت الدراسة فروقا واضحة في رسوم أطفال الحروب لكل دولة **(الركف، 2004)**.

كما تناولت **دراسة (جايد، 1978)** أثر الحرب على رسوم الأطفال، حيث استهدفت الدراسة معرفة الآثار التي تركتها الحرب العراقية الإيرانية على رسوم (230) طفل وطفلة في اختباراتهم من المدى العمري (6–10) سنوات، بينت النتائج أن معظم اختيارات الأولاد كانت للرسوم الحربية، في حين كانت رسومات البنات عادية. لم تظهر أي دلالة إحصائية لافتراض تأثير المستوى الثقافي على اختيار الرسوم الحربية والعادية، وفي السياق ذاته تناولت **دراسة القيسي (2008)** مظاهر العسكرة في رسوم الأطفال لمعرفة مدى انعكاس مظاهر العسكرة في رسوم (813) طالب وطالبة موزعين على مرحلتين: الابتدائية، والمتوسطة للأعمار(10–15). بينت النتائج أن رسومات البنين برزت فيها مظاهر العسكرة في حين كانت هذه المظاهر معدومة في رسومات البنات، كما أن مظاهر العسكرة تركزت بشكل واضح لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، واختفت تقريبا في المرحلة المتوسطة.

ومن الدراسات الحديثة نسبياً **دراسة النووي (2016)** حول العنف الإعلامي أثناء الحرب ودلالاته النفسية في رسوم (120) تلميذ وتلميذة من الصفين الخامس والسادس الابتدائي في العراق، حيث بينت النتائج أن مظاهر الحرب من أسلحة، وعربات عسكرية، ومشاهد دمار المباني كانت واضحة في رسوم الأطفال.

منهجية البحث وإجراءاته

لكل فكرة بحث طبيعتها وإجراءاتها، وما تتطلب من منهجية لإنجازها بالشكل الملائم لأهدافها. ونظراً لطبيعة البحث الحالي كونها تتطلب تحليل رسومات، تم اتباع أسلوب دراسة الحالة التوضيحية، وهو أحد أساليب منهج التحليل الكيفي في البحوث العلمية.

البحث الكيفي لا يكتفي بوصف الأشياء وصفاً كمياً، بل يسعى للحصول على فهم أعمق للصورة الكبرى. الظاهرة الإنسانية سواء كانت اجتماعية، أو نفسية، أو ثقافية، أو تربوية ظاهرة معقدة تتداخل فيها العديد من المكانيزمات، والدوافع، والأبعاد مما يجعل من عملية وصفها في أرقام هو تسطيح مُخل بها (غباري، أبوشندي، وأبوشعيرة 2015). وهناك عدة أنواع تنطوي تحت منهج التحليل الكيفي كدراسة الظاهرة، والبحث الأثنوغرافي، والنظرية المتجذرة، والبحث السردي، ودراسة الحالة(Merriam, 1998).

ونظراً لطبيعة المتغير محور الاهتمام في البحث الحالي وهو اضطراب ما بعد الصدمة لدى أطفال الحرب، وجد الباحثان أن منهج دراسة الحالة هو الطريقة العلمية المناسبة للبحث الحالي والمفضلة من بين طرق البحث الكيفي.

منهج دراسة الحالة

وتعد دراسة الحالة فريدة من نوعها في العلوم الاجتماعية والإنسانية لتركيزها على دراسة كيان واحد، والذي يمكن أن يكون شخصًا، أو جماعةً، أو منظمةً، أو حدثًا، أو موقفًا، ويتم اختيار حالة الدراسة لأسباب محددة وليس بشكلٍ عشوائي كما يحدث عادةً في البحوث التجريبية، ويلجأ الكثير من الباحثين والدارسين إلى تبني هذا النوع من الدراسات بشكلٍ أساسي من أجل القيام بدراسة تحليلية يتم فيها عن كثب مراقبة مجموعة لها خصائص واحدة أو أكثر من الخصائص المتشابهة، وتقوم دراسة الحالة بالتركيز على العوامل المعقدة التي تحتويها الحالة قيد الدراسة لمعرفة العوامل التي كانت سببًا في الحالة المراد دراستها، وكما أن دراسة الحالة تعمل على دراسة كافة تفاصيل الحالة، وجميع الجوانب المختلفة فيها، وتقوم بتوظيف أكثر من أسلوب، وأكثر من أداة في جمع وتحليل البيانات، وعلى الرغم من تعدد أنواع منهج دراسة الحالة كدراسة الحالة الاستكشافية التجريبية، ودراسة الحالة التراكمية، ودراسة الحالة المثالية، إلا أن المفضل بحسب طبيعة البحث الحالي هو نوع دراسة الحالة التوضيحية. وتعد دراسات

الحالة التوضيحية دراسات وصفية في المقام الأول، حيث يستخدم الباحث عدداً قليلاً من الحالات لدراسة الوضع الحالي، وتعمل هذه الدراسات التوضيحية في المقام الأول على إعطاء القارئ فكرة واضحة حول الموضوع المراد دراسته (غباري، أبوشندي، وأبوشعيرة، 2015).

عينة الدراسة (الحالات)

تكونت عينة الدراسة من 5 أطفال من حالات مشخصة مسبقاً باضطراب ما بعد الصدمة 4 منهم أطفال ذكور، وطفلة واحدة من الأطفال الذين تم تشخيصهم على أنهم يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة كونهم ممثلين لعينة من أطفال الحرب بمدينة درنة، وتتراوح أعمارهم ما بين 5 إلى 9 سنوات.

الأسلوب الكيفي المستخدم في جمع البيانات

هناك عدة أساليب وأدوات لجمع البيانات في البحوث الكيفية كالمقابلة، والملاحظة، والوثائق، والمجموعات البؤرية، والأساليب الإسقاطية. وهذه الأخيرة – الأساليب الإسقاطية– هي التي تم استخدامها في البحث الحالي نظراً لطبيعة المرحلة العمرية لأفراد العينة وصعوبة الحصول على الإستجابة المباشرة، والمعلومات باستخدام الأساليب الأخرى (العزاوي، 2016).

الأساليب الإسقاطية :

إذا كانت مجموعات النقاش المركزة، والمقابلات المعمقة هي أدوات مباشرة في البحوث الكيفية ، حيث يتم فيها السؤال المباشر ودراسة ملاحظة الموقف مباشرةً، فإن الأساليب الإسقاطية هي أساليب غير مباشرة، وغير مقننة لتوجيه الأسئلة للمبحوثين، بل هي ترتكز على تشجيع المبحوثين لإسقاط دوافعهم واتجاهاتهم ومعتقداتهم على أشخاص، أو موضوعات أخرى غير ذواتهم ، وتتعدد الأساليب الإسقاطية، ومنها: أسلوب تداعي المعاني والأفكار، واستكمال الناقص ، والبناء ، والأساليب التعبيرية (زغيب، 2009). وأداة البحث الحالي تعتمد على الأسلوب الإسقاطي التعبيري. حيث يعتبر اختبار رسم الشخص لـ(ماكوفر) أول محاولة منظمة لتحليل الشخصية على أساس أسلوب تعبيري إسقاطي كما تركز في تحليلها للرسم على التحليل الكيفي (مليكة، 2000).

اختبار رسم الشخص (ماكوفر-1949)

رأت "ما كوفر" أن الفرد خلال عملية الرسم يكون خاضعاً لتأثير العمليات الشعورية، و اللاشعورية المتصلة بصورة ذاته، ومن ثم فالشكل الإنساني المرسوم يجب أن يفهم على أنه تعبير عن الأمزجة والتوترات، وعلى أنه وسيلة لإسقاط مشاكل صاحب الرسم، وأسلوبه في تنظيم خبراته، كما تنعكس من خلال نسق الجسم، وتجسيد صراعاته النفسية حول أعضاء هذا الجسم، وصفاته كما يراه، كما رأت ماكوفر أنه عن طريق الرسم يمكن للفرد أن يعبر عن مشاعره: قوته، أو ضعفه، أو عجزه" (القريطي،2001 : 191).

تحليل رسومات أفراد العيينة

بعد جمع البيانات عن الحالات الـ(5) عن طريق حث الأطفال على رسم شخص وإعطائهم أوراقاً ومجموعة ألوان. عمد الباحثان إلى استخدام الأطر النظرية والدراسات السابقة في مجال تحليل رسوم الأطفال لتقديم تفسيرات موضوعية لرسوم الأطفال عينة البحث في ضوء ظروفهم النفسية، والاجتماعية، والخبرات الصادمة التي تعرضوا لها، والتي تم التقصي عنها من خلال المربين وأولياء الأمور.

الحالة 1: (الطفلة س) روضة الزهور

العمر: خمس سنوات

الترتيب الميلادي: السادسة بين أخوتها

معيشة الطفلة: مع والديها طبيعية

الخبرة الصادمة: تعرض الطفلة لمشهد انفجار بالقرب منها وهي تلعب في حديقة الأطفال، بالإضافة إلى خبرة صادمة أخرى وهي مشاهدة منزلهم محترق بالكامل، وكذلك المنازل المحيطة به بعد رجوعها وعائلتها من فترة نزوح.

الملاحظات على الحالة: اضطراب في النطق، توتر، وعصبية، وصعوبة في التركيز بشكل فعال.

أولاً: بالنسبة **للحجم** يتميز رسم الطفلة بأنها ذات حجم صغير حيث تشغل حيزاً محدوداً من ورقة الرسم، وهذا يدل على مشاعر الدونية، ونقص الكفاءة، وعلى الخوف، والنزعة إلى الانسحاب، والانطواء، والقلق. واستند الباحثان في هذا التفسير على ما ورد في القريطي (2001) في تحليله لدلالات الحجم في رسومات الأطفال.

ثانياً: فيما يتعلق **بالتفاصيل في الرسم**، وهي تعد مؤشراً لطبيعة اتصال الفرد مع البيئة. وتتميز رسمة الطفلة بأنها ذات تفاصيل أقل، وهذا يرجع إلى ما لدى الطفلة من إنطواء وانقباض. ومن مظاهر التفاصيل:

أ. **الرأس:** حيث يغلب على الرسوم رسم الرأس كبيراً وذا خطوط مؤكدة، وحسب ما ترى "ماكوفر" فإن ذلك قد يكون دلالة على رغبة الطفلة في أن تكون أكثر ذكاءاً، وأكثر قدرة على الإنجاز، كما أنه دلالة على إنكارها لمصدر انبعاث أفكار مزعجة ومؤلمة تتمالك الطفلة، وتؤدي بها إلى القلق.

ب. **العينان:** تعد العينان من أهم أعضاء الجهاز الحسي، والاتصال بمثيرات العالم الخارجي، حيث قد تكونان مركزاً للتشكك، والحيرة، والخوف، وهذا واضح جلي في رسم الطفلة للعيون خصوصاً في رسم الرجل، حيث كانت العينان واسعتين، بينما رسمت الطفلة عينيّ المرأة ضيقتين جداً بحيث تكاد تكونان مغلقتين وذلك تعبيراً عن الرغبة في تجنب رؤية مثيرات بصرية مؤلمة، وهذا التفسير مستند على دلالات رسم العينين كما أشار إليها مليكة (2000).

ج. **الذراعان:** إن رسم الأذرع والأيدي يعكس الكثير من مكونات الشخصية كالطموح، والثقة، والكفاءة، والعدوان (القريطي، 1995). من الملاحظ على رسم الطفلة للذراعين رسمهما بشكل مصغر لدى شخصي الرجل والمرأة ، وهذا ما يميز رسوم الأطفال الخجولين، وكذلك نلاحظ الأيدي المحذوفة (المقطوعة) في الرسم قد يكون له دلالاته على شعور الطفلة بأنها غير قادرة على السيطرة على بيئتها، والأحداث المحيطة بها، وهذا ما يمكن أن يُستقى من تفسيرات لويس وقرين لرسوم الذراعين كما وردت في القريطي (1995).

د. **الفم:** اتضح من رسم الطفلة لشخصي الرجل والمرأة تأكيد زائد على الفم، وهذا يرتبط بما تعانيه الطفلة من اضطرابات في اللغة والكلام، حيث تعاني الطفلة من تأتأة وتلعثم في

الكلمات. هذا بالإضافة إلى انخفاض شديد في الصوت وكثيراً ما امتنعت عن الكلام خلال المقابلة.

ثالثاً: التظليل، وهو عبارة عن ملء أو تغميق مساحة ما فارغة من الرسم، واتضح من رسوم الطفلة أن جميعها كانت مظللة وبشكل عام. حيث أكدت "ماكوفر" أن التظليل يعد دليلاً على القلق، وأن ضربات القلم العنيفة التي تغطي جزءاً معيناً تعد تفريغاً لطاقة عدوانية، أما فيما يتعلق بالضغط على القلم أثناء الرسم فنلاحظ أن الطفلة كانت تضغظ بالقلم على الرسم، وهذا يوحي بوجود ضغوط داخلية تفصح عن نفسها من خلال التوتر العضلي الزائد.

رابعاً: استخدام الألوان، لكل لون يستخدم في الرسم دلالاته الخاصة، اتضح من رسومات الطفلة غياب الألوان، حيث استخدمت لوناً واحداً وهو الأخضر، دليل على رغبة الطفلة في الانعزال والشعور بالوحدة وإحجامها عن إقامة علاقات مع الآخرين وضعف الاتصال بالواقع (Milchodi، 1998).

خامساً: المحو، حيث ترى "ماكوفر" أن الأطفال الصغار نادراً ما يستخدمون الممحاة في الرسم، وهذا طبيعي لأنهم تلقائيون. وهذا ما تتسم به الحالة رقم (1) من عدم استخدام الممحاة دليل على التلقائية المطلوبة بالنسبة للغرض من البحث الحالي.

سادساً: الحركة، يقصد بها مدى تمثيل الطفل لحركة الأشخاص في رسومه للشكل الإنساني، حيث أن تمثيل الحركة له قيمة كبيرة في إلقاء الضوء على الطاقة النفسية والحركية للطفل، وعلى نوازعه العدوانية، كما يرتبط بمدى تلقائيته في التعبير عن مشاعره، ويتضح من رسومات الطفلة س أن الرسوم تظهر في وضع جمود وسكون، حيث القريطي في هذا السياق أن الجمود، والسكون، والرسومات دلالة للاكتئاب، والمزاج المنقبض، والإنهاك الانفعالي (القريطي، 1995).

سابعاً: التأكيد والمبالغة، يركز الطفل في رسومه للشكل الإنساني على الأجزاء التي تعنيه أكثر من غيرها تركيزاً زائداً (التأكيد الإيجابي)، ويلي ما عداها من أجزاء اهتمام أقل وربما إهمال، حيث يهمل الطفل جزءاً بعينه ويتجاهله تماماً تغطية عليه وإنكاراً له، وهو ما يطلق عليه (التأكيد السلبي). واتضح من رسومات الطفلة س أنها قامت بتحريف رسومات الأشخاص لا شعورياً بحذف

الجزء الخاص بالجذع في رسمها للمرأة والرجل، وفي هذا يشير "همر" إلى أن تحريف، أو حذف أي جزء من الشكل يوحي بوجود صراع نفسي يتعلق بهذا الجزء (فرينه، 2011).

ثامناً: موضع الرسم في **حيز الورقة** يعتبر من الدلائل المهمة، حيث يشير كلبس ولوجي (في: القريطي، 1995) إلى أن موضح الرسم على الورقة له دلالته، اتضح من رسومات الطفلة س أنها استخدمت أعلى الورقة من جهة اليسار، مما يوحي ويدل على أن الطفلة تستخدم الخيال كثيراً، وأنها تجد صعوبة في التوافق مع الواقع الحالي، وتوجه الطفلة نحو الماضي وتأثرها به (الخبرة الصادمة).

الحالة 2: (طفل م) روضة الزهور

العمر: خمس سنوات

الترتيب الميلادي: الأول في الأسرة

معيشة الطفل: الأب متوفى أثناء الحرب ويعيش مع أمه في بيت جده.

الخبرة الصادمة: احتراق المنزل المقيم فيه الطفل أثناء وجوده فيه.

الملاحظات على الحالة: الخجل، والصمت، عدواني مع زملائه، ولوحظ أيضاً ذلك أثناء المقابلة لطلب الرسم، رسم المرأة بصعوبة بالغة، وفضل رسم الرجل وبسهولة.

أولاً: اتضح من رسم الطفل م فيما يخص الحجم أن الرجل المرسوم ذو حجم صغير، هذا يدل على مشاعر الدونية، والخوف، والنزعة إلى الانسحاب، والانطواء، والقلق حسبما أشار القريطي (1995). بينما كان رسم شخص المرأة بحجم كبير يكاد يمتد على الصفحة ككل، وهذا ما يميز الأطفال العدوانيين الذين يفتقرون إلى الضبط الذاتي، والسيطرة الداخلية، وتدل أيضاً على شعور الطفل بالتقييد البيئي، والعجز عن الحركة والإحباط الناجم عن ذلك، كما تعكس رغبة الطفل في التعويض تعبيراً عن رغبته الشديدة الكامنة في أن يصبح أكثر قوة ومقدرة، وهذا رجع لأهمية الأم في حياة الطفل م، وغياب الأب المتوفى أثناء الحرب.

ثانياً: التفاصيل في رسم الطفل م كانت محرفة بدرجة كبيرة إما بأجزاء غير متناسبة، أو برسم أجزاء في غير أماكنها. وبحسب (سوينزن) فإن هذا التحريف يعتبر دليلاً على أن الطفل يعاني من

اضطراب انفعالي عنيف. حيث يرى أن الأطفال المضطربين انفعالياً أكثر احتمالاً بأن يرسموا أشكالاً محرفة مما يرسمه الأطفال الأسوياء (فرينه، 2011).

أ. **الرأس:** ومن أمثلة التفاصيل القليلة التي رسمها الطفل الرأس، حيث رسم الرأس صغيراً في رسم الرجل، بينما رسم الرأس كبيراً في رسم المرأة. وحسب ما ترى "ماكوفر" في رسم الرجل حجم الرأس تعبيراً عن مشاعر الخجل، وإنكاراً لمصدر انبعاث الأفكار المزعجة المسببة للقلق. الطفل وفقاً لبيانات المقابلة مع مربيه كان يتعرض للسخرية والاستهزاء، والوصمة المتعلقة بكون أبيه يرتبط بتنظيمات إرهابية. بينما كان الرأس في رسم المرأة ذا حجم كبير وخطوطاً مؤكدة تعبيراً عن رغبة الطفل في أن يكون أكثر ذكاءا ومقدرة على الإنجاز. وكذلك دلالة على مشاعر النقص التي يعاني منها الطفل (القريطي، 1995).

ب. **العينان:** اتضح أن رسومات الطفل م لعيني الرجل بأنهما صغيرتان ومغلقتان وذلك تعبيراً عن تجنب مثيرات بصرية مزعجة ومؤلمة ترتبط بالحادث الصادم، أما المرأة فقد رسمها الطفل م بدون عيون مما قد يفسر بأنه رغبة في تجنب الاختلاط بالآخرين. وهذا ما ورد في تفسير تفاصيل العين عند ميلشودي (Malchodi,1998). فذلك يدل على أن الطفل يعاني من ضياع هويته النفسية وأن من حوله لا يهتمون به.

ج. **الذراعان:** رسم الطفل م الرجل بذراعين طويلتين دون محاولة ضبطهما. ويذكر مليكة في هذا السياق، أن ذلك يشير إلى الطموح والحاجة للتعويض والمساندة. بينما كانت الأذرع في رسم المرأة صغيرة وبخطوط باهتة ضعيفة دلالة على أن الطفل يخشى القوة، والبطش، وينظر إلى نفسه على أنه ضعيف وأقل مقدرة من غيره على الإنجاز. وهذا ما يؤكده حذف الأيدي (الكفين) في رسم كل من الرجل والمرأة، وهذا مؤشر لعدم الشعور بالأمن، وبصعوبة التعامل مع البيئة المتمثلة في البيت والروضة.

د. **الفم:** لوحظ أن الطفل حرّف رسم الوجه بإلغاء وحذف رسم الفم، وهذا يوحي بالقلق ونكوص للطفل.

ثالثاً: التظليل، رسومات الطفل كانت جميعها مظللة، وكان الطفل يضغط كثيراً على القلم، مما يدل على ارتفاع القلق، حيث كانت ضرباته للقلم عنيفة. الطفل لديه نزوع إلى تشويه الشكل

المرسوم بالضغط على القلم والألوان، وهي إشارة إلى سوء التوافق بدرجة كبيرة وفقاً لما يذهب إليه (فن وايزن).

رابعاً: استخدام الألوان، استخدم الطفل م اللون الأسود في رسوماته، وهذا فيه إشارة إلى الحزن، وفقدان الأمل والقلق، ويعبر استخدام الطفل للون الأسود –خاصة في رسم المرأة– عن ميله لرفض الواقع، ونقمته على المجتمع المحيط به، كما استخدم الطفل م اللون الأحمر بإسراف في كلا الرسمين وهو دلالة على العصبية، والميل للعدوان، واستخدام الأحمر بإسراف يدل على حالة الكبت العاطفي التي يعيشها، أما استخدامه للون الأزرق بكثرة في رسم الرجل دون المرأة وبالضغط على قلم اللون الأزرق بتوتر انفعالي هي دلالة الحنين لذكريات سعيدة مرتبطة بالأب المتوفى في الحرب (Malchodi, 1998).

خامساً: المحو، لم يستخدم الطفل م الممحاة دليل على التلقائية في الرسم.

سادساً: الحركة، على حسب التعبير اللفظي للطفل أثناء رسمه لشخص الرجل عبر الطفل عن ذلك بأن الرجل المرسوم يطير عالياً في السماء، وهذا مؤشر على التوتر، والقلق، وفرط النشاط لدى الطفل وفقاً لما جاء في مقترحات وتفسيرات الرسوم عند القريطي (1995)، أما رسم شخص المرأة رسمت على أنها تحرك إحدى يديها.

ثامناً: رسم الطفل م الرجل في أعلى الورقة من جهة اليسار، ويدل على أن الطفل يستخدم الخيال كثيرا، وأنه يواجه صعوبة في التخلص من الماضي، والتوافق مع الواقع الحالي (القريطي، 1995). بينما وضع رسم شخص المرأة في وسط الصفحة المخصصة لرسم المرأة، وهذا ما يشير إليه مليكة على أنه دليل للحاجة للشعور بالأمن.

الحالة 3: (طفل غ) مدرسة ابراهيم بكار

العمر: 6 سنوات

الترتيب الميلادي: الثاني (يتوسط ولدين)

معيشة الطفل: مع جدته لأبيه هو وأخوته

الخبرة الصادمة : تعرض الأم لحريق ووفاتها أمامه، بالإضافة إلى دمار المنزل نتيجة الحرب.

الملاحظات على الحالة: انطوائي متقوقع على الذات (يرتدي غطاء الرأس –طربوش– ويرفض خلعه) وإذا تحدث يتحدث بصوت منخفض، ونبرة حادة. رفض رسم المرأة أكثر من مرة، وبعد الإلحاح من الباحثين رسم المرأة بصعوبة بالغة وباستياء.

أولاً: بالنسبة **للحجم** تميز رسم الرجل بحجم صغير، وهذا يدل على مشاعر الدونية ونقص الكفاءة، وعلى الخوف، والنزعة إلى الانسحاب، والانطواء، والقلق. بينما رسم الطفل **غ** المرأة بحجم كبير وهذا ما يميز الأطفال العدوانيين ممن يفتقرون للضبط الذاتي، والسيطرة الداخلية، كما قد يعكس ذلك رغبة الطفل في التعويض لرجوع أمه للحياة (فقدان الوالدة في حادث حريق).

ثانياً: فيما يتعلق **بالتفاصيل** نجد أنه رسم المرأة بتفاصيل أقل بكثير من رسم تفاصيل الرجل.

أ. **الرأس:** حيث يغلب على الرسوم رسم الرأس كبيراً، وذا خطوط مؤكدة، وحسب ما ترى "ماكوفر" وجود خلل في الوظائف الجسمية والنفسية للطفل، ودليل على نكوص في وظيفة الأنا، وربما يفسر هذا أيضاً بالتبول اللاإرادي الذي يعاني منه الطفل بعد وفاة والدته. كذلك قام بمحو الرأس في رسم المرأة أكثر من مرة، وفي النهاية ترك رسم شخص المرأة بلا الرأس. وهذا بحسب تفسير فرينة (2011) يدل على أن الطفل يعاني من اضطراب انفعالي عنيف.

ب. **العينان:** رسم الطفل لشخص الرجل بعينين كبيرتين مفرغتين، وحسب "ليو" فإن العين الكبيرة تعد تعبيراً عن مفهوم الطفل لأهمية هذا الجزء للشخص المرسوم، كما تؤكد جودانف أن الطفل الذي يبالغ في حجم العناصر التي تبدو ذات أهمية، بينما يصغر أجزاء أخرى أو يحذفها خصوصاً في رسم الرجل حيث كانت العينان واسعتين، بينما رسم الطفل عينيّ المرأة ضيقتين جداً بحيث تكاد تكونان مغلقتين، وذلك تعبيراً عن الرغبة في تجنب رؤية مثيرات بصرية مؤلمة، وهذا التفسير مستند على دلالات رسم العينين كما أشار إليها مليكة (2000).

ج. **الذراعان:** رسم الطفل غ الذراعين بشكل مصغر لدى شخص الرجل، وهذا ما يميز رسوم الأطفال الخجولين، بينما رسم شخص المرأة بذراع واحد طويل وبخط باهت ضعيف، وهذه دلالة على خشية الطفل من القوة والبطش، وينظر إلى نفسه على أنه

ضعيف وأقل مقدرة من غيره. كما نرى أن الطفل حذف الأيدي والأطراف التي تُعد من العوامل الرئيسة للاتصال، والتوتر في رسمها ربما يساعد في فهم السلوك الذي يرتكز على الخوف، والخجل، والخصومة، والعدوان.

د. **الفم:** رسم الطفل **غ** الفم في رسم شخص الرجل بخط قصير جداً، يدل على عدم الرغبة في الحديث، والانطواء، وانعدام الرغبة في مخالطة الآخرين.

ثالثاً: التظليل: واتضح من رسوم الطفل **غ** أن جميعها كانت مظللة، وبشكل عام خاصةً في رسم شخص الرجل، حيث أكدت "ماكوفر" أن التظليل يعد دليلاً على القلق، وأن ضربات القلم العنيفة التي تغطي جزءاً معيناً تعد تفريغاً لطاقة عدوانية. أما فيما يتعلق بالضغط على القلم أثناء الرسم نلاحظ أن الطفل كان يضغط بالقلم على الرسم.

رابعاً: استخدام الألوان، اتضح من رسومات الطفل **غ** استخدام لونين داكنين في رسم شخص الرجل، وهما اللونين الأزرق والبني القاتم، وهي دلالة على شعور الطفل بحزن داخلي واحتياجه للمساعدة، حيث استخدم لوناً واحداً وهو الأحمر فقط في رسم شخص المرأة، وهو دليل على العصبية والميل للعدوان، والإسراف في استخدام اللون الأحمر مؤشر للحاجة للتنفيس عن الكبت العاطفي الذي يعيشه الطفل المرتبط بالخبرة الصادمة. وهذا وفقاً لتفسير "ميلشودي" لدلالة الألوان (Milchodi, 1998).

خامساً: المحو، استخدم الطفل **غ** الممحاة أكثر من 16 مرة، وهذا دليل على القلق الشديد، حيث ترى ""ماكوفر" أن كثرة المحي يلجأ إليه الأطفال العُصابيون والشخصيات التي تعاني من الوسواس القهري، ومؤشراً على التردد، وعدم التأكد وانعدام الثقة. أو عن مشاعر أثم يحاول التغطية عليها عن طريق المحي (القريطي، 1995).

سادساً: الحركة، يتضح من رسم الطفل **غ** أن رسم شخص الرجل في وضع جمود وسكون، حيث يرى القريطي في هذا السياق أن الجمود والسكون دلالة للاكتئاب، والمزاج المنقبض، والإنهاك الانفعالي. بينما رسم الطفل **غ** شخص المرأة في وضع مائل (كأنها ستقع) مما يعطي انطباعاً بعدم الاتزان، وعدم الشعور بالأمن(القريطي، 1995).

سابعاً: التأكيد والمبالغة، حيث رسم الطفل **غ** أيدي المرأة بشكل متوتر مع العديد من مرات المسح والتحريف، كذلك اتضح تحريف رسم المرأة من خلال رسم الأجزاء غير متناسبة مع بعضها البعض. وهي دلائل على القلق، ولتعويض عن مشاعر النقص العضوي والنفسي، وعلى النزعة إلى إنكار حدث ما (فرينه، 2011).

ثامناً: موضع الرسم في **حيز الورقة،** اتضح ميل الطفل غ وضع رسوماته في منتصف الورقة تماماً، وهذا بحسب تفسير مليكة (2000) يمثل الحاجة إلى الشعور بالأمن، في تساوي المسافتين على جانبي الرسم.

الحالة 4: (طفل ج) روضة آمنة بنت وهب

العمر: 5 سنوات

الترتيب الميلادي: الأول

معيشة الطفل: غياب الأب

الخبرة الصادمة: انهيار المنزل والمنازل المجاورة، وغياب الأب فجأة.

الملاحظات على الحالة: سلوك عدواني مرتفع جداً، وتمرد بدا واضحا حتى خلال الرسم بكسر القلم بعنف بعد انتهائه من رسم الرجل والمرأة، والاعتداء على إحدى المعلمات (عضة عنيفة) وهروبه من الروضة أكثر من مرة.

أولاً: الحجم، رسوماته كبيرة الحجم تملأ الصفحة دلالة على الميل للعدوان، والافتقار للضبط الذاتي، والسيطرة الداخلية، والنشاط الزائد، وشعور الطفل بالقيود والإحباطات، كما تعكس رغبة الطفل في التعويض عن مشاعر النقص، وضعف الثقة بالنفس.

ثانياً: التفاصيل، رسوماته شحيحة التفاصيل.

أ. **الرأس:** رسم شخص الرجل برأس كبيرة دلالة على مشاعر النقص وما يصحبها من تخيلات تعويضية.

ب. **العينان:** رسم الطفل العينان فارغتين تعبيراً عن الشعور بالإثم، وربما هذا الشعور تولد عن انخراط والد الطفل بتنظيمات متطرفة.

ج. **الذراعان:** رسمهما الطفل قصيرتين، وهي دليل على الشعور بنقص الكفاءة، أما ضخامة الذراعين دلالة على رغبة الطفل في التحكم والتعويض عن الضعف.

د. **الفم:** إهمال الفم وغيابه في رسم الطفل **ج** يوحي بالقلق، وعدم الرغبة في الحديث، وكذلك الميل للانطواء.

ثالثاً: التظليل، تظليل الرسومات كما في حالة الطفل **غ** تماماً، وضربات القلم عنيفة (قلق وطاقة عدوانية).

رابعاً: استخدام الألوان، اتضح من رسومات الطفل **ج** استخدام عدد قليل من الألوان مما يدل على رغبة الطفل في الانعزال والشعور بالوحدة، واكتفائه باستخدام اللون الأزرق في رسم شخص الرجل، واللون الأصفر في رسم شخص المرأة مما يشير لوجود ضغوطات داخلية بإفراط استخدام اللون الأصفر في رسم شخص المرأة، (Malchodi, 1998).

خامساً: المحو، استخدم الطفل المحو بشكل جلي في رسم شخص المرأة تحديداً، حيث قام بمحو بعض أجزاء الجسم، وهذا مؤشر على القلق، والتردد، والتوجس، وانعدام الثقة.

سادساً: الحركة، رسومات الطفل **ج** تتسم بالجمود وعدم الحركة مما يدل على الاكتئاب وانقباض المزاج والإنهاك الانفعالي.

سابعاً: التأكيد والمبالغة، قام بتأكيد رسم الجذع في رسم شخص المرأة، ويدل ذلك على أهمية المنطقة بالنسبة له (تكبير الجذع على حساب أجزاء أخرى) دليل على التعويض، وإنكار للرأس والأذرع في رسم شخص المرأة. وهذا فيه دلالة على القلق، والتعويض عن مشاعر النقص، والنزعة للإنكار.

ثامناً: موضع الرسم في **حيز الورقة،** اتضح ميل الطفل غ وضع رسوماته في منتصف الورقة تماماً، وهذا بحسب تفسير مليكة (2000) يمثل عدم شعور الطفل بالأمن نتيجة غياب الأب.

الحالة 5: (الطفل د) مدرسة بكار

العمر: 9 سنوات

معيشة الطفل: وفاة الأب، والمعيشة مع الأم.

الترتيب الميلادي: الرابع

الخبرة الصادمة: وفاة الأب أمامه في المنزل إثر خطأ تنظيف سلاح (طلقة نارية)، بالإضافة إلى وفاة الأخت غرقاً في الفترة نفسها.

الملاحظات على الحالة: شرود ذهني وتشتت انتباه، انطواء، وسلوك عدواني.

أولاً: الحجم، تتميز رسومات الطفل د بصغر حجم الوحدات المرسومة كما في رسم الحالة الأولى الطفلة س، ورسم الرجل للحالة الثانية غ.

ثانياً: التفاصيل، يتسم رسم الطفل **د** بأنه أكثر تفاصيل مما يدل على أنه أكثر اتصالاً، وإدراكاً للبيئة.

أ. **الرأس:** رسم الطفل الرأس بحجم صغير مما يدل على مشاعر الخجل، وإنكار لمصدر انبعاث أفكار مزعجة ومؤلمة تتملك الطفل، وتؤدي به للقلق.

ب. **العينان:** رسم الطفل **د** العينين بخط محيطي فارغ، وهو تعبير عن الشعور بالإثم نتيجةً لرفض العالم الخارجي.

ج. **الذراعان:** رسم الطفل الأذرع في رسمي الرجل والمرأة طويلة قوية، مما يشير إلى الحاجة للتعويض عن طريق القوة البدنية.

د. **الفم:** التأكيد على الفم في الرسم مع بروز الأسنان في رسم الفم، وهو دليل على الميل للعدوان.

ثالثاً: التظليل، تظليل الرسومات في بعض الأجزاء فقط خصوصاً الأيدي، ومنطقة العنق دليل على سوء التوافق لدى الطفل.

رابعاً: استخدام الألوان، قلة الألوان المستخدمة دلالة على الحرمان العاطفي، والرغبة في الانعزال، والشعور بالوحدة، وعند سؤال الطفل أثناء الرسم بـ (لماذا لا تستخدم الألوان؟) أجاب بتفضيله للون الأبيض الذي يمثل لون خلفية الورقة التي يرسم عليها، واللون الأبيض دلالة على الميل للانطواء، والكبت العاطفي الذي يعيشه الطفل، والذي يولد صراعاً داخلياً، وعجز في التعبير عن انفعالاته.

خامساً: المحو، استخدم الطفل **د** الممحاة أكثر من مرة دليلاً على القلق، ومؤشراً على التردد، وعدم التأكد والشك وانعدام الثقة.

سادساً: الحركة، تتسم رسومات الطفل **د** بالجمود والسكون، وهذا ما يميز رسومات الطفل المكتئب ذي المزاج المنقبض، والمنهك انفعالياً كما أشير لهذا سابقاً.

سابعاً: التأكيد والمبالغة، لوحظ تأكيد زائد على الرأس في رسم شخصين: الرجل والمرأة، كذلك رسم الفم والجذع للمرأة. وذلك لأهمية الرأس في تأكيد دلالات القلق، والتخيلات لغرض التعويض عن مشاعر النقص.

ثامناً: موضع الرسم في **حيز الورقة،** اتضح ميل الطفل غ وضع رسوماته في منتصف الورقة تماماً، وهذا بحسب تفسير مليكة (2000) يمثل عدم شعور الطفل بالأمن نتيجة فقدان الأب.

بعد عرض تفسيرات وتحليلات رسوم الأطفال عينة البحث الحالي لكل حالة على حده بناءً على أطر نظرية في تفسير رسومات الأطفال، تُعرض نتائج البحث المتمثلة في الإجابة على السؤالين الرئيسين:

استراتيجيات التحقق من الصدق

لتحقيق شروط وضوابط الموضوعية استخدم الباحثان نوعين من استراتيجيات التحقق من الصدق في البحث الكيفي وهما:

الصدق النظري: وهو التحقق من الدرجة التي يمكن أن تكون فيها دلالات البيانات المجمعة متسقة مع التفسير النظري، ويمكن التعبير عن ذلك بالمعقولية النظرية للنتائج، وخاصة إذا تم ذلك من خلال الاحتكام إلى عدة نظريات وتفسيرات(Merraim, 1998). تم تحقيق الصدق النظري في تحليل رسوم الأطفال من عينة البحث وذلك بتفسيرها في ضوء التفسيرات والأطر النظرية السابقة الخاصة بتفسير دلالات رسوم الأطفال.

الصدق التأويلي: يمكن التعبير عن الصدق التأويلي بدقة في تمثيل تصورات المبحوثين للظاهرة قيد الدراسة، والتي قد تتحقق من خلال رصد ردود الفعل البعدية للمبحوثين، للتأكد من مدى تطابقها مع تأويلات الباحث بعد تحليل البيانات (Creswell, 2007).

تم التحقق من الصدق التأويلي في البحث الحالي لدى أغلب الحالات، فبعد تفسير الرسومات بدلالاتها النفسية المرتبطة بعينة البحث تم الرجوع إلى أولياء أمور الأطفال للتحقق من مدى مطابقة التفسيرات، والدلالات النفسية التي صاغها الباحثان مع سمات شخصية الطفل. وتبين للباحثين أن أغلب الدلالات النفسية والسمات الشخصية التي فُسرت من خلال الرسم هي فعلاً موجودة لدى الأطفال.

نتائج البحث

في هذا الجزء من البحث تعرض النتائج التي تجيب على السؤالين الرئيسين في البحث الحالي. بعد تحليل الرسومات بشكل مفصل عمد الباحثان لتضمين الدلالات النفسية الرئيسية والمشتركة في رسوم أفراد العينة الـ(5) لتجيب على سؤال البحث الأول المتمثل في:

- **ما الدلالات النفسية لرسوم عينة من أطفال الحرب ممن يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة؟**

جدول (1) يبين الدلالات النفسية لرسوم أفراد عينة البحث ورموز الرسم المرتبطة بهذه الدلالات والاضطرابات

الدلالات النفسية (الاضطرابات)	انطباق الدلالة على عينة الدراسة	الدلالة الرمزية للاضطراب في رسوم الحالات
العزلة والانطواء	كل الحالات تعاني من العزلة والانطواء	تصغير حجم الوحدات المرسومة عند (س/غ/د) استخدام ألوان قليلة (س/غ/د/ج) فقدان التنظيم والتناسب (س/م/ج/غ) عدم إكمال الرسم (غ/ج)
الميل للعدوان	كل الحالات لديها ميل للعدوان	التظليل والخطوط القوية الصريحة (س/م/غ/ج/د) المحو المتكرر (غ/د)
القلق	كل الحالات تعاني من القلق	التحريف في الرسم (س/م/غ/ج) التأكيد الايجابي على بعض أجزاء الرسم (د/غ/ج/س)
الشعور بالنقص	كل الحالات تعاني من الشعور بالنقص	تكبير حجم الرأس (س/م/غ/ج)

الإنكار	كل الحالات تعاني من الإنكار	استخدم الممحاة بكثرة (غ/د) حذف أجزاء من الرسم (س/م/غ/ج/د)
عدم الشعور بالأمن	كل الحالات تعاني انعدام الشعور بالأمن	الرسم في وسط الصفحة (غ/ج/د) رسوم مائلة (س/م/غ)

للإجابة على سؤال البحث الأول تم تمثيل الدلالات النفسية لرسوم أطفال اضطراب ما بعد الصدمة في جدول (1)، وتمثيل البيانات بهذه الكيفية جـــاء وفقاً لـما أشـــار إليه " كرسويل" (Creswell, 2007) من أن عملية تحليل البيانات في المنهج الكيفي تبدأ بتنظيمها ووضعها في عناصر أساسية مشتركة عبر عملية الترميز، ومن ثم تمثيل هذه العناصر أو العوامل المشتركة في جدول أو مخطط معرفي، وهكذا بعد عملية التحليل السابقة المفصلة للدلالات النفسية لرسوم الأطفال تأتي عملية تفسير العوامل في شكل عموميات وأطر نظرية.

- هل هذه الدلالات النفسية تتسق مع أعراض اضطراب ما بعد الصدمة؟

وللإجابة على السؤال الثاني تم مراجعة العديد من الأدبيات والدراسات التي تناولت أعراض اضطراب ما بعد الصدمة لدى الأطفال والمحددة مسبقاً، ومدى اتساقها مع الدلالات النفسية لرسوم الأطفال عينة البحث المبينة بالجدول (1)، التي أسفر عنها تحليل الرسومات. وللتحقق من هذا الاتساق والمقابلة تم عرض الدلالات النفسية لرسومات الأطفال والأعراض المرتبطة باضطراب ما بعد الصدمة كما تم تمثيل هذه المزاوجة بين الأعراض والدلالات في جدول (2).

جدول (2) يبين الاتساق والمزاوجة بين الدلالات النفسية في الرسومات والسمات المميزة لأطفال اضطراب ما بعد الصدمة

الدلالات النفسية في رسومات عينة البحث	الأعراض والسمات المميزة لاضطراب ما بعد الصدمة عند الأطفال وفقاً لكل من : الجمعية الأمريكية للطب النفسي DSM III ، و ديريقروف 2003- Dyregrov ، كما ذكرت في الإطار النظري للبحث
العزلة والانطواء	الابتعاد العاطفي عن الأصدقاء وانحسار الاهتمام بالبيئة المحيطة
الميل للعدوان	العصبية الزائدة والاستثارة الزائدة والـــشديدة
القلق	سلوكيات التجنـــب والقلق الشديد
الإنكار	آليات الدفاع كالإنكار، القمع، تقمص المعتدي، العنف الموجه نحو الذات

الشعور بالنقص	----------
عدم الشعور بالأمن النفسي	----------

وكما هو مبين بالجدول (2) فإن الاتساق والمزاوجة بين الدلالات النفسية المرتبطة باضطراب ما بعد الصدمة التي تم استنتاجها من رسومات عينة البحث، والسمات المميزة للاضطراب عند الأطفال كما وردت في العديد من الأدبيات والدراسات ظهرت في العزلة والانطواء، والميل للعدوان، القلق، والإنكار كحيلة دفاعية، بينما لم يظهر الاتساق بالنسبة للشعور بالنقص وغياب الأمن النفسي.

وفق هذه النتيجة التي أسفرت عنها التحليلات الوصفية الإسقاطية لرسوم عينة الأطفال فإن القيمة التشخيصية لاختبار رسم الشخص كأداة وحيدة في تشخيص اضطراب ما بعد الصدمة لدى الأطفال تعتبر ضعيفة، على الرغم من كونها أشارت لكثير من الدلالات النفسية المهمة المرتبطة بالاضطراب، والتي قد تساعد الفاحص في عملية التشخيص إلاّ أنه لا يمكن الاعتماد على اختبار الرسم وحده في عملية تشخيص الاضطراب، بل يشترط استخدامه مع وسائل وأدوات للكشف عن السمات النفسية للأطفال المصابين اضطراب ما بعد الصدمة.

وأخيراً يوصي الباحثان بضرورة تدشين البرامج التدريبية على استخدام الاختبارات الإسقاطية بكافة أنواعها ولاسيما للأخصائيين، والمرشدين العاملين في المدن التي تعرضت للحروب، والصدمات، والاضطرابات. كما يوصي الباحثان بالتدريب على مهارات العلاج باستخدام الرسم عند الأطفال الذين يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة. أما في سياق البحث العلمي، فيقترح الباحثان إجراء دراسات على على الأطفال في بيئة الحرب باستخدام الوسائل والأدوات الإسقاطية الأخرى.

المراجع

1. بدري، مالك (2001). سيكولوجية رسوم الأطفال، اختبارات رسم الإنسان وتطبيقاتها على أطفال البلاد العربية"، مطبعة دار الفرقان، ط3 ،عمان، الأردن.
2. جايد، عبد الكريم (1978). أثر الحروب على رسوم الأطفال، *دراسات الخليج العربي*،جامعة البصرة.
3. حسين، محمود (1974). ارنهايم: الفن البصري ، *دراسات علم النفس* ، جامعة كاليف.

4. الركف، ندى صالح(2004). تأثير الحروب على عينة من رسوم الأطفال في العالم وانعكاساتها
5. الانفعالية،*مشروع بحث غير منشور* /كلية التربية جامعة الملك سعود.
6. زغيب، شيماء ذو الفقار (2009). مناهج البحث والاستخدامات الإحصائية في الدراسات االعالمية، الدار المصرية اللبنانية: القاهرة.
7. العزاوي، سالم جاسم (2016). البحث الكيفي في العلاقات العامة: دراسة تحليلية لبحوث العلاقات العامة في العراق للمدة من 1989 إلى 2016. *مجلة البحث الإعلامي*، العدد (38) 95-114.
8. غباري، ثائر احمد.، أبو شندي، يوسف عبدالقادر.، بوشعيرة، خالد محمد (2015) *البحث النوعي في التربية وعلم النفس*، دار الاعصار العلمي، الاردن: عمان
9. فرينه، أسامة عمر (2011). القيمة التشخيصية لاختبار رسم الشخص في تمييز اضطراب ما
10. بعد الصدمة لدى عينة من الأطفال.رسالة ماجستير غير منشورة.قسم علم النفس، الجامعة الإسلامية- غزة.
11. القريطي، عبدالمطلب أمين (1995). مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال.الطبعة الأولى، دار
12. المعارف: مصر
13. القريطي ،عبدالمطلب (2001). مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال،ط 2، دار الفكر العربي:
14. القاهرة.
15. القيسي، يسرى عبد الوهاب (2008). مظاهر العسكرة في رسوم الأطفال، الكتاب السنوي لمركز أبحاث الطفولة والأمومة، مج (3).
16. المليجي، علي (2003). تعبيرات الأطفال البصرية، حورس لطباعة والنشر، ط2، بورسعيد: جمهورية مصر العربية.
17. مليكة، لويس كامل (2000). دراسة الشخصية عن طريق الرسم. مكتبة الأنجلو المصرية.
18. النووي، ابتسام سعدون (2016) العنف الاعلامي ودلالاته النفسية من خلال رسوم تلاميذ
19. المرحلة الابتدائية. *وقائع المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الدراسات الإنسانية الجامعة*
20. *المستنصرية*، 19-20 نيسان / 2016.
21. Creswell, W. J (2007) *Qualitative Inquiry & Research Design: Choosing Among Five Approaches,* Sage Publications, London.
22. Dyregrov, A.(2003): Psychological Debriefing: A leaders For Guide Small Crisis Intervention. Chevereon Publishing Corporation.
23. Malchodi, C.A (1998). Understanding Childrens' Drawing. The Guilfor Press.
24. Merriam, S. B. (1998) *Qualitative Research & Case Study Applications in Education*. Jossey-Bass Publisher: San Francisco, US.

ملحق (رسومات الأطفال)